د. جوني منصور*

٥٤ عاماً على النكبة

احتلال حيفا والرواية الاسرائيلية

مقدمة

كان لقرار التقسيم ١٨١ الصادر في ١٩٤٧/١١/٢٩ عن هيئة الأمم المتحدة أثره الكبير بالنسبة لمصير ومستقبل مدينة حيفا، بحيث ان حيفا كانت من نصيب الدولة اليهودية، والواقع ان هذا القرار لم يأت بشكل مفاجئ على الاطلاق بالنسبة لليهود، أقله بالنسبة للزعامة اليهودية ـ الصهيونية. الواقع ان هذه القيادة لم تكن تنتظر الحصول على قرار يقسم فلسطين الى دولتين بقدر ما كانت هذه القيادة تضغط على الدول الغربية وفي مقدمتها بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية لنيل حصة كبيرة من فلسطين. لهذا فإن اليهود قد صمموا على أن تكون مدينة حيفا وضواحيها من حصة الدولة اليهودية المزمع انشاؤها في فلسطين. ولماذا حيفا؟ الجواب في غاية البساطة؛ فحيفا مدينة ساحلية هي بوابة فلسطين لوجود الميناء الذي كان قد اقيم حديثاً فيها، ولوجود التجمعات الصناعية الثقيلة في منطقة الخليج والضواحي، ولأنها مدينة المستقبل بالمفهوم الاقتصادي ـ التجاري بالنسبة لليهود.

من جهة أخرى، نلاحظ ان اختيار حيفا لم يكن صدفة؛ لهذا جرى التركيز في توجيه قوافل من المهاجرين اليهود للسكن في هذه المدينة واستثمار أموالهم فيها، وتقوية البنية التحتية الاقتصادية لتكون جاهزية حيفا موجودة وثابتة ساعة الاعلان عن اقامة الدولة اليهودية.

كثيرون من المؤرخين لسقوط حيفا خاصة وفلسطين عامة العام ١٩٤٨ وبعض المهتمين بهذا الجانب يرون ان مؤامرة قد حيكت لاسقاط حيفا، وبسرعة كبيرة ومدهشة لم يتوقعها اليهود بهذا الشكل. ولنوافق على هذا الادعاء ولو من باب المجاملة العادية أو من باب الوفاق والاتفاق الوطني، إلا أنه يجدر بنا ان نفكر ملياً في العوامل والظروف والأسباب التي أدت الى هذا السقوط، وليس الأمر بهذه السهولة، فالواقع يشير الى اهمال عربي عام وفلسطيني خاص كان من الأسباب الداعية الى سقوط هذه المدينة وتشريد أهلها.

ولا أود الخوض في رحلة اتهام بقدر ما ارغب في تشخيص الحالة

* محاضر في معهد المعلمين - بيت بيرل.

مدينة حيفا

وكيف جرت عمليات معالجتها آنذاك؟ ولماذا لم تتخذ قرارات كذا وكذا؟.

ومن جهة أخرى، ليس لديّ النية في وضع سقوط حيفا في الميزان السياسي بقدر ما هو دراسة حالة سقوطها من الناحية التاريخية وضمن السياق التاريخي الفلسطيني على وجه التحديد.

لهذا، سأورد روايتين للسقوط: الأولى الرواية العربية، والثانية الرواية الاسرائيلية وهي في دورها مبنية من وجهتي نظر مركزيتين، كما سنرى ذلك من خلال استعراض هاتين الروايتين.

لقد عدت الى عدة مراجع ومصادر تاريخية تتعلق بحيفا وبفلسطين، ولكن يبدو ان معظمها يسرد الرواية نفسها سواء أكانت المصادر عربية ـ فلسطينية أم مصادر عبرية ـ اسرائيلية، واعتمدت على الرواية الرسمية الاسرائيلية الواردة في كتاب «تاريخ حرب ١٩٤٨» من تحرير سلوتسكي الذي يعتمد كثيراً على كتاب موشي كرمل «معارك الشمال» والذي عدت اليه مراراً لفهم الرواية الاسرائيلية على وجه الخصوص.

حيفا عشية سقوطها

شهدت حيفا تطوراً كبيراً في كافة ميادين الحياة فيها بين الحربين العالميتين. فالازدياد السكاني كان بنسب عالية في الوسطين العربي واليهودي. فبالنسبة للوسط العربي شهدت حيفا حركة هجرة من قرى الجليل وشمالي المثلث وعلى الأخص من أم الفحم، وأيضاً هجرة خارجية من لبنان وسورية وشرقي الأردن ومصر، والهجرتان الداخلية والخارجية كانتا لتوفر أماكن العمل في حيفا. أما الهجرة اليهودية فكانت من خارج فلسطين. وكما ذكرنا سابقاً فإن الهجرة اليهودية الى حيفا تميزت برأس المال اليهودي لتوظيفه في الصناعات الثقيلة المقامة والمزمع اقامتها في حيفا ـ المدينة الصناعية اليهودية المستقبلية.

فرضت الزيادة في السكان توسيع مسطحات المدينة باتجاه الغرب ونحو سفوح وأعالي الكرمل. والواقع أن العرب فضلوا السكن في الأحياء المنتشرة في الحزام الواقع بين الشرق والغرب، أي أن زحف الأحياء كان بموازاة الساحل وليس فوق الكرمل. بحيث انتشرت بعد الحرب العالمية الاولى الأحياء العربية غربي الحي الألماني فيما يُعرف بـ «حي الزيتون» (شارع اللنبي حالياً)، وباتجاه حي عباس، ووادي الجمال الواقع جنوبي حيفا عند مدخلها الجنوبي، أما الانتشار السكاني اليهودي فاتجه نحو سفوح الكرمل الجنوبية وفي الضواحي القريبة من حيفا وعلى قمم الكرمل. واذكر هذا الموضوع في بداية استعراض سقوط حيفا، لأن المناطق والأحياء التي سكنها اليهود شكلت نقاطاً استراتيجية مهمة من الدرجة الأولى في حسم مصير حيفا أثناء عملية سقوطها.

والواقع أن لهذا العامل دوراً في التفوق اليهودي العسكري على القوات العربية العاملة ضمن الحامية العسكرية العربية في حيفا.

ولقد استطاع اليهود بناء اقتصاد شبه مستقل لهم في حيفا، وقلما

كانوا بحاجة الى خدمات من العرب إلا في النادر، بينما احتاج العربي الى خدمات من المجتمع اليهودي في كثير من المرافق الاقتصادية التي لم تكن متوافرة لدى العرب، أو انها لم تكن في المستوى المطلوب. ولم يتوقف الأمر عند حدّ الاستقلالية أو شبه الاستقلالية اليهودية في حيفا، بل انهم تمكنوا وخلال فترة قصيرة من السيطرة على كثير من الوظائف الإدارية ـ التنظيمية داخل أجهزة الحكومة الانتدابية والمحلية المتمثلة ببلدية حيفا، حتى بلغ الأمر أن تولى ادارة البلدية يهودي العام ١٩٤٠ وهو شبتاي ليفي بعد أن كانت رئاسة البلدية بيد حسن شكري وهو ليس عربياً ولكن أقله كان مسلماً، علماً ان سياسته العامة كانت موالية لليهود.

ولما شرعت حكومة الانتداب البريطاني في اقامة مشاريع الصناعات الثقيلة في منطقة خليج حيفا وعلى الخصوص اقامة مصافي البترول، فإن اليهود قاموا بدور كبير في السيطرة على كثير من هذه المصانع بما لديهم من القدرات والكفاءات أكثر من السكان المحليين ـ أي العرب.

ولهذا، فإننا نجد انه تكون في حيفا مجتمعان منفصلان عن بعضهما بالكلية، فاليهود لهم مدارسهم الخاصة بهم، ولهم المعاهد العليا الخاصة بهم مثل التخنيون (معهد العلوم التطبيقية، أقيم في حيفا العام ١٩٢٥). ولم يكن العرب يرسلون أولادهم الى هذه المؤسسات. وأيضاً شكلوا هيئات ادارية وتنظيمية مستقلة بالنسبة لهم كما هو الحال في لجنة حي هادار الكرمل ولجنة الكرمل اللتين كانتا بمثابة بلديات منفصلة، ورغم تلقيهما الخدمات من البلدية إلا أن هذين الحيين أرادا توفير الخدمات للسكان بحسب طريقتيهما. وهذا دليل قاطع على نظرة اليهود المستقبلية في حالة قيام الطرف العربي بالسيطرة على المدينة فبالامكان قطع اسس الحياة عن اليهود والاحياء التي يسكنون فيها، لهذا جاء هذا التنظيم يشير الى رغبة اليهود في الاستقلالية وضمان تزودهم بالخدمات بأنفسهم.

أقام اليهود المدارس والنوادي والحركات الكشفية والشعبية الخاصة بهم، وقلما وجدت يهودياً يتعلم في مدارس حكومية، إلا إذا اضطر الى ذلك.

وخلاصة الأمر فإن مجتمعين منفصلين عاشا في حيفا لكل واحد مقوماته ومؤسساته الخاصة به. ولا توجد أية مؤشرات للتعاون بين المجتمعين سوى ما يعود بالفائدة على كل منهما من خلال الخدمات البلدية العامة.

ولم تكن هناك امكانية للتعاون بين العرب واليهود في ميادين الحياة العامة في حيفا بسبب توجه كل جهة الى ما يعنيها. فاليهود همهم تأسيس حيفا لساعة الحسم، والعرب يعملون ويبنون وكأن شيئاً مما يفكر به اليهود لن يحدث بالنسبة لهم. الحقيقة أنهم عاشوا حياة حيفا كما أرادوها لأنفسهم ولحياتهم اليومية.

توزيعة الأحياء والمستقبل الأمني

لقد ذكرنا أن العرب سكنوا البلدة القديمة والتي كان لها أسوار منذ عهد باني المدينة في العصر الحديث، ظاهر العمر الزيداني، وتركزت حياتهم داخل هذه المدينة، ففيها حي القصبة والحسبة والمحلات التجارية والحرفية وكل ما تحتاجه مدينة شرقية في ذلك الوقت. وأخذت المدينة تتسع شيئاً فشيئاً من نهاية القرن التاسع عشر اثر تدفق سيل الهجرات اليها من كل حدب وصوب. وكان انتشار المدينة نحو الغرب وسفوح وقمم الكرمل.

فضل العرب السكنى في الأحياء القريبة من البلدة القديمة فسكنوا في البلدة التحتا وفي محيط الحي الألماني وحي الزيتون وحي عباس ووادي الجمال ومحطة الكرمل ووادي النسناس ووادي الصليب ووادي روشمية والحليصا.

وكل هذه الأحياء لا تمنح سكانها الأمن من أية جهة كانت، فبالإمكان دخول المدينة والسيطرة عليها. وعليه أقام اليهود احياءهم في المنحدرات العليا لجبل الكرمل وقممه. وهذا التوجه الاستراتيجي في السيطرة على مناطق مرتفعة كان أحد العوامل المركزية في رسم مخططات الهجوم العسكري والعصاباتي الذي نفذته الجيوش والعصابات اليهودية في فترة الحرب بين اليهود والعرب في حيفا.

وشهدت الأحياء العربية ازدحاماً في السكان لكون العرب بطبيعة حياتهم يفضلون العيش قريبين من الأهل والأقارب ومن المراكز التجارية والمدارس؛ لهذا كانت مناطقهم من حيث عددها أقل ومن حيث سكانها أكثر.

إن الازدحام السكاني لم يفسح المجال أمام العرب في تطوير مؤسساتهم المدنية والتنظيمية وغيرها سوى في القليل منها. أما اليهود فنجحوا في توزيع الأحياء السكنية وسط تفكير مستقبلي واضح للقيادة، وأيضاً ـ وهذا الأمر مهم للغاية ـ بالنسبة للانكليز. أضف إلى ذلك أن السكان اليهود كانوا منتشرين على مساحات كبيرة، منها للسيطرة على الأراضي ومنها توفير الدعم البشري وقت القتال الذي أخذ يلوح في الأفق.

من جهة أخرى، فإن التفوق في الموقع كان من نصيب اليهود ولصالحهم على طول الطريق وليس للعرب على الاطلاق.

لقد قال البعض: إن معركة حيفا كانت واضحة لليهود كثيراً قبل

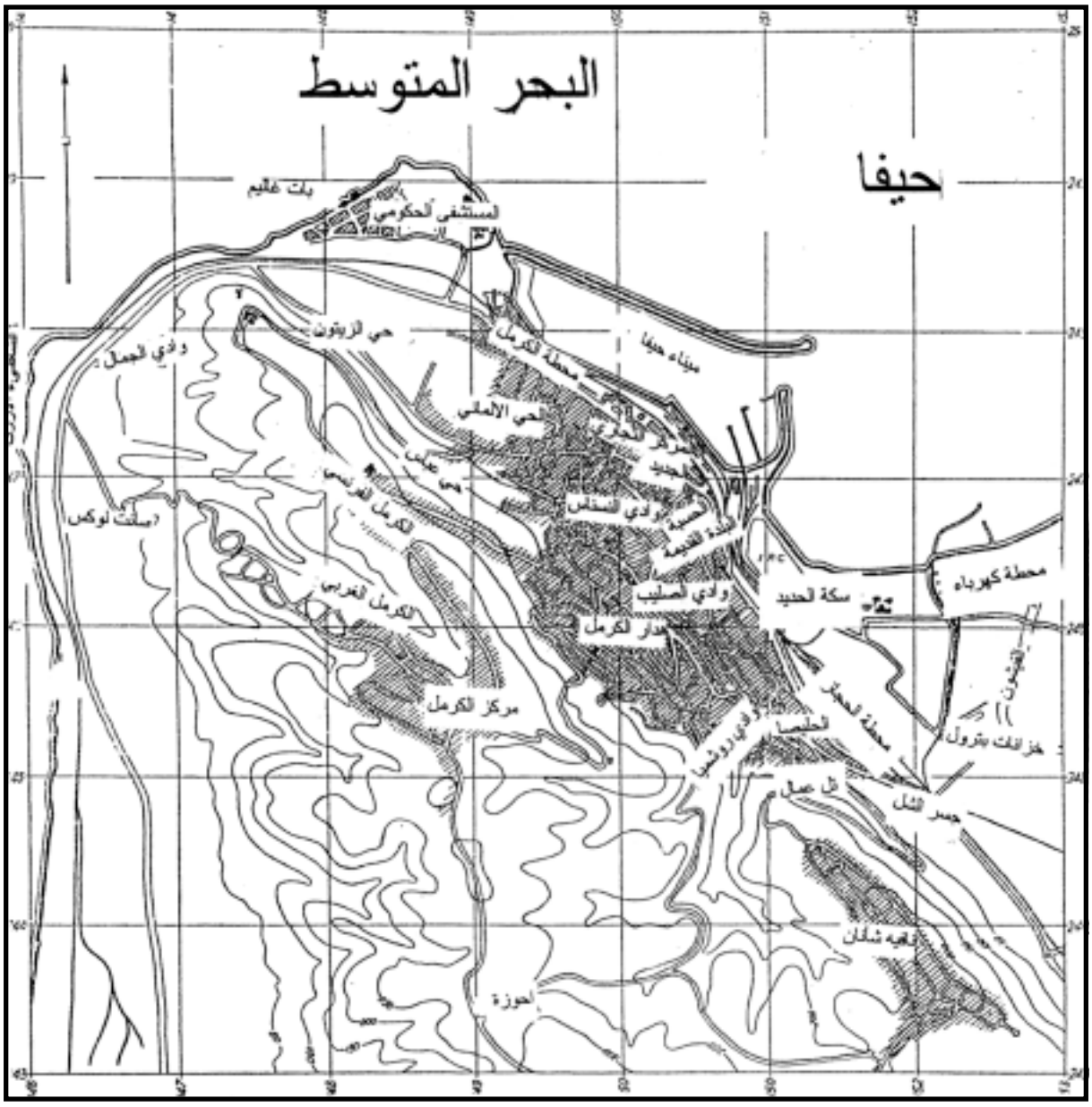

خارطة حيفا قبل العام ١٩٤٨.

وقوعها بسنوات طويلة، ولم يبق سوى انتظار الوقت الذي تنسحب فيه القوات الانكليزية من أراضي فلسطين، وعندها يحدث الانقضاض على فلسطين وتدمير القرى والمدن الفلسطينية وتهجير الفلسطينيين من ديارهم وتحويلهم الى لاجئين، سواء في المناطق الداخلية من اسرائيل أو في الشتات.

إذن، مسألة سقوط حيفا كانت مسألة وقت لا غير بالنسبة لليهود، لهذا جاءت استعداداتهم مكثفة ودقيقة وذات معنويات عالية بالنسبة للمقاتلين منهم.

الانسحاب البريطاني من حيفا .. مفاجئ أم معروف؟

كان هدف الجنرال ستوكويل، قائد حامية حيفا البريطاني، إبعاد النزاع القائم بين اليهود والعرب عن قواته إلى حين مغادرتها فلسطين[١]. ومن الواضح أيضاً أن ستوكويل أراد تنفيذ إعادة انتشار القوات البريطانية الواقعة تحت إمرته ليتمكن من حمايتها في حال وقوع الصدامات بين العرب واليهود[٢]. والمعروف أن بريطانيا قد أعلنت أنها ستنسحب من فلسطين عند انتهاء الانتداب في ١٥ أيار ١٩٤٨. وهنا يأتي السؤال: لماذا قرر ستوكويل سحب قواته من حيفا في ٢١ نيسان وليس في الموعد المحدد لكل القوات البريطانية؟.

إننا نواجه صعوبات في تحديد الاجابة على السؤال السابق، ولكن التحليلات تشير إلى أن السياسة البريطانية العامة في فلسطين كانت تعتمد دعم الجهة المحاربة والأقوى في كل مدينة، آملة أن تكون هي الطريقة الفضلى لوضع نهاية سريعة للمعارك[٣]. اضافة الى ذلك فالاعتقاد

السائد أن الجنرال ستوكويل ككثيرين من البريطانيين كان متأكداً أن حيفا التي ستكون من نصيب الدولة اليهودية ستفقد من مكوناتها العربية. وبما أن حيفا ستصبح جزءاً من الدولة اليهودية وفقاً لقرار التقسيم ١٨١ وبما أن اليهود يشكلون أكثر من ٥٥٪ من التعداد السكاني فيها فإن الجنرال ستوكويل قام بإبلاغ اليهود يوم ١٨ نيسان ـ ابريل ١٩٤٨ عن عزمه إخلاء المدينة، ولم يعط اشارة مشابهة كهذه للعرب[٤]، ما ساهم في قيام الهاغاناه والعصابات اليهودية الأخرى بالاستعدادات الأخيرة للسيطرة على المدينة بواسطة تنفيذ هجوم خاطف.

ولكننا لا نستطيع أن نفهم أو حتى أن نقبل الادعاء البريطاني كما يقدمه ستوكويل بأن القوات البريطانية لا تستطيع أن تقف أمام مواجهة النزاع بين العرب واليهود في حيفا، ذلك ان حيفا كانت مركز تجمع جميع القوات البريطانية المنسحبة من البلاد تمهيداً لإبحارها منها عند انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين[٥]. فكيف يمكن أن تقوم القوات البريطانية بسحب قواتها قبل الموعد المحدد من المكان المخطط له أن يكون آخر نقطة في تجميع القوات البريطانية؟.

وعلينا الإشارة هنا الى أن المصادر والمراجع التاريخية اليهودية لا تذكر شيئاً له علاقة بهذا الأمر، أي أنها تتجاهل مسألة قيام ستوكويل بإبلاغ اليهود عن موعد انسحابه قبل تنفيذ الانسحاب. ولكن هذه المصادر تبرز أنها تفاجأت من هذا الإبلاغ من قبل الجنرال ستوكويل. ورغم أنها قد أصيبت بعامل المفاجأة إلا أنها لم تقف مكتوفة اليدين بل قامت بتنفيذ الخطة المرسومة لإحتلال حيفا وتهجير سكانها العرب منها.

وبالرغم من عدم تطرق الرواية الإسرائيلية الرسمية الى ذكر الإبلاغ المسبق بالانسحاب البريطاني إلا أننا نجد عند مؤرخ معارك الهاغاناه في حيفا تصادوق ايشيل اشارة واضحة نوعاً ما الى أن الإنكليز سينسحبون من المدينة، وذلك بذكره انه في ١٩ نيسان ١٩٤٨ ـ أي يوماً واحداً بعد الابلاغ بشكل غير رسمي عن الانسحاب ـ ترك شرطيون انكليز مقر شرطة هادار الكرمل، وأكثر من ذلك قام قائد المقر الإنكليزي بتسليم مفاتيح المقر لضابط يهودي[٦].

وأشار نفس الكاتب الى أن قوات الهاغاناه قد تمكنت من الاستيلاء على بعض البيوت في شارع يبنة القريب من بناية خوري، يومين قبل انسحاب القوات البريطانية من المدينة[٧]. وهذه البناية ستشهد معركة ضارية للغاية لكونها مفتاح السيطرة على عدة مناطق في المدينة وبالأخص حي وادي النسناس والبلدة التحتا وحماية منطقة الهادار والهادار ـ الكرمل.

ويشير وليد الخالدي إلى أن الجنرال ستوكويل قد استدعى في ١٨ نيسان الى مقره العسكري موظف الارتباط اليهودي هاري بيلين، وهو نفس اليوم الذي بدأت فيه القوات اليهودية عملياتها في طبريا وقيام الجيش الإنكليزي بإخلاء العرب من المدينة (طبريا)، واعلم ستوكويل موظف الارتباط اليهودي المذكور بأنه يخطط لسحب قواته من بعض المواقع. والملفت للإنتباه انه بالرغم من عدم اعتراف الرواية الاسرائيلية الرسمية بعلم اليهود المسبق بالانسحاب البريطاني، فإن بني موريس يشير في كتابه «ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين» الى قيام زعيم منظمة الهستدروت في حيفا ومن قياديي حزب المباي «ابا حوشي» بالالتقاء بالجنرال ستوكويل في ١٩ نيسان ١٩٤٨ مستفسراً منه عن موقف الانكليز ازاء قيام الهاغاناه بهجوم محتمل ضد العصابات والقوات العربية في المدينة. وبحسب أقوال ستوكويل فيما بعد، ان ابا حوشي قد قال له إن أحوال اليهود لم تعد محتملة على الاطلاق في المدينة وان هجوماً عربياً أصبح وشيكاً على منطقة الهادار ـ الكرمل. ورد عليه ستوكويل ان هجوماً يهودياً كبيراً سيعتبر عملاً غير حكيم[٨].

استنتاجنا الواضح هنا أن القوات اليهودية وعلى رأسها الهاغاناه قد قامت بكل عمليات الاستفسار من الانكليز مباشرة وغير مباشرة عن موعد الانسحاب المرتقب، والثابت أن اليهود قد تمكنوا من معرفة موعد الانسحاب مسبقاً وبوضوح سواء بلسان ستوكويل أو عن طريق آخرين.

إن العلم المسبق بثلاثة أيام عن انسحاب الانكليز من حيفا أفسح المجال أمام القوات اليهودية لوضع اللمسات الأخيرة لخطة الهجوم على حيفا والتي تعرف باسم «مسبرايم» (المقص)، والخطة التنفيذية ـ التطهيرية تعرف بـ «بيعور حاميتس» (أي تطهير ـ وهذه العبارة لها علاقة بما يقوم به اليهود من تطهير لأدوات المنزل استعداداً للفصح، ولكون الفصح العبري على وشك القدوم فإنهم أطلقوا هذا الاسم على العملية العسكرية لتطهير حيفا).

أما البيان الذي وزعه الجنرال ستوكويل على اليهود والعرب فهو كالتالي:

«إلى الهيئات التنفيذية العربية واليهودية في حيفا»

لقد وقع خلال الأسبوعين الأخيرين بين العرب واليهود اصطدامات عديدة متكررة ويجب وقف هذه الاصطدامات إذا رغب في المحافظة على الأمن والسلام في حيفا.

وإني لا أريد أن تتورط قوات الجيش والبوليس بأية صورة من الصور في هذه الاصطدامات العربية اليهودية. كما واني أريد أن أؤمن الطرق والمناطق الضرورية لاتمام عملية الجلاء البريطاني عن فلسطين بواسطة

ميناء حيفا خلال الأشهر الثلاثة التالية.

وإني لراغب وعلى استعداد في جميع الأوقات لمساعدة أي من الطائفتين بأية وسيلة ترغبان فيها بغية المحافظة على الأمن والنظام في هذه المنطقة.

إن الطرق التي سوف أستعملها هي:

طريق ستيلا مارس ـ طريق الجبل ـ شارع الكرمة ـ جادة الكرمل ـ الميناء ـ شارع الميناء ـ بناية مركز البوليس ـ طريق كازخانة شل ـ شل ـ طريق المطار ـ طريق الجلمة.

المناطق التالية:

بيت جاليم ـ الكولونية الألمانية ـ الميناء ـ محطة سكة الحديد الشرقية ـ منطقة كازخانة شل ـ منطقة جبل الكرمل المحمية ـ المطار.

لقد وزعت اليوم قوات الجيش والبوليس بصورة تساعد على تأمين هذه الطرق والمناطق وسأتخذ الاجراءات التي أراها ضرورية في أي وقت لتأمين عدم تدخل أي من الطائفتين فيها.

ويجب أن لا يقع أي اعتداء على الخدمات العامة وسوف اتخذ إذا رأيت ذلك ضرورياً التدابير لتأمين استمرار هذه الخدمات بإتقان وانتظام. وإنني أرغب في أن يجري سحب القوات البريطانية من حيفا بنظام وسرعة وأن تستمر علاقاتنا الطيبة في المستقبل وأن نترك البلاد حاملين احترام الطائفتين وصداقتهما.

الامضاء: هيو ستوكويل
ميجور جنرال
قائد المنطقة الشمالية
٢١ نيسان ١٩٤٨

أما رد فعل العرب المباشر على هذا البيان فكان على النحو التالي:

«إن هذا البلاغ الذي أدلى به ستوكويل يناقض مناقضة صريحة تصريحات الحكومة البريطانية بأنها ستكون وستبقى مسؤولة عن النظام والأمن وحماية الأرواح والأموال حتى تاريخ انتهاء الانتداب، كما انها تناقض أيضاً الترتيبات التي جرى الاتفاق عليها بين السلطات العسكرية البريطانية واللجنة القومية العربية وقيادة الحرس الوطني العربي في حيفا. أما ستوكويل فأجاب الوفد العربي بقيادة أمين عز الدين قائد الحامية العربية في حيفا بأنه ـ أي ستوكويل ـ لا يستطيع أن يغير الذي أقره كما هو مدرج في البلاغ المذكور[٩]».

الخطة العربية في الدفاع عن حيفا

أود أن أطرح أولاً التساؤل التالي: هل وضعت خطة عربية للدفاع (أو لحماية) عن حيفا؟.

الواقع أن خطة مدروسة بشكل عسكري لم توضع للدفاع عن حيفا. وأعني بذلك أن القيادة العربية المحلية والقيادة العامة لم تول مسألة حماية حيفا والدفاع عنها في الدرجة الأولى في سلم الأولويات. أضف إلى ذلك أن العرب لم يأخذوا بعين الاعتبار مكونات أخرى يجب دراستها، وأقصد هنا أن القيادة العربية المحلية في حيفا والعامة في القدس أو في دمشق لم تقم بدراسة ما يقوم به اليهود من تنظيمات وتحركات وتزود بالأسلحة بشكل مدروس. المعلومات التي كانت بحوزة العرب عن الهاغاناه على سبيل المثال بسيطة للغاية ولا تساعد في أي من الأشكال في بناء خطة حماية وخطة هجوم.

من جهة أخرى فإن الاستعدادات العربية للهجوم الآتي لم تكن بالقدر الكافي لصمود عرب حيفا أمام قوات الهاغاناه، وهذا ما بينته المعارك التي جرت في حيفا على مدار يومين وأدت الى سقوط المدينة لقمة سائغة بيد اليهود.

كنا قد ذكرنا سابقاً أن الأحياء العربية في حيفا كانت في خطر من حيث موقعها الجغرافي مقارنة بالمواقع الجغرافية التي كانت فيها الأحياء اليهودية. فالأحياء العربية واقعة في منبطح من الأرض يسهل السيطرة عليها من قبل الأحياء اليهودية المنتشرة على سفوح الكرمل ومرتفعاته.

بالاضافة الى ذلك فإن حيفا محاطة من الجهات الأربع بمستوطنات يهودية حالت دون وصول الامدادات

مبنى سكني ومكاتب في ساحة مدرسة التربر (ساحة الهاغاناة اليوم)، هدمت اثناء وبعد معركة سقوط حيفا

الى المقاتلين العرب. فمن الشمال: كريات حاييم وكريات موتسكين وكريات بياليك. ومن الشرق كفار حسيديم وكيبوتس ياجور ونيشر. ومن الجنوب باردیس حنة وبنيامينا والخضيرة وزخرون يعقوب. ومن الجنوب الغربي عتليت.

هذه المستوطنات التي كانت تحيط بحيفا قد سهلت على القوات اليهودية منع وصول الامدادات للعرب، ولكنها سهلت وصولها الى القوات اليهودية. وبهذا حصل التفوق الامدادي للقوات اليهودية على العربية في حيفا. أضف الى ذلك الأسلوب السياسي الذي استعمله زعماء اليهود في حيفا وفي مقدمتهم شبتاي ليفي، رئيس البلدية، الذي اتفق أدبياً مع العرب على تحييد حيفا وجعلها مدينة مفتوحة بدون قتال انطلاقاً من العلاقات الطيبة التي تربط العرب باليهود. ولكن على أرض الواقع تبين عكس ذلك إذ أنَّ القوات اليهودية من الهاغاناه والايتسل قد وضعت خمسة آلاف من أفرادها على أهبة الاستعداد للانقضاض على حيفا وتطهيرها واحتلالها بالكامل.

الواقع أن ما تفوّه به ليفي ما كان إلا خدعة في مسلسل الخدع التي استعملها هذا الرجل الذي كان يحاول أن يظهر بمظهر المتعاطف مع العرب، وانه يريد مصلحة المدينة التي يعيشون فيها ومصلحتهم. ولكن من الثابت أنه كان جزءاً من العملية العسكرية في احتلال حيفا وتنظيم تهجير سكانها.

كما أسلفنا كان لقرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩ الأثر المباشر في الاعلان عن تأسيس «اللجنة القومية العربية» برئاسة رشيد الحاج ابراهيم. وأصدرت هذه اللجنة بيانات عديدة منذ تأسيسها تدعو بواسطتها جماهير حيفا العربية الى التماسك وعدم ترك المدينة «أثبتوا في منازلكم، ولا تخلوها للغير، ولا تذعنوا لتهديد أو وعيد»[١٠].

أما حيفا فقد جرى تقسيمها إلى عشر مناطق بموجب خطة عسكرية اعتقد العرب أنها توفر الحماية للأهالي، وذلك على النحو التالي:

المنطقة الأولى: الحليصة، المنطقة الثانية: أرض اليهود، المنطقة الثالثة: درج اليمن، المنطقة الرابعة: البلدة القديمة، المنطقة الخامسة: وادي النسناس، المنطقة السادسة: حي عباس، المنطقة السابعة: حي الزيتون، المنطقة الثامنة: محطة الكرمل، المنطقة التاسعة: الكولونية الألمانية وشارع يافا، المنطقة العاشرة: وادي الجمال والشاطئ الأزرق.

وتم تعيين قائد للحامية العربية بحيفا وهو محمد حمد الحنيطي الذي كان ضابطاً في الجيش العربي (الذي أسسه غلوب باشا (المعروف بأبي حنيك) في شرقي الأردن). وعُين يونس نفاع مساعداً له. ووضعت تحت إمرته فرق من المقاتلين العرب. ووجدت في المدينة فرق موالية للمفتي وفرق أخرى موالية للنجادة.

وجود هذه الفرق من المقاتلين حال دون التنسيق بينها تراكم خلافات قديمة. والوقت ليس في صالح العرب لأن اليهود موحدون في كلمتهم وخططهم. لهذا قام الحنيطي بدراسة الوضع بشكل سريع فتبين له انه ليس بإمكانه حماية المدينة والدفاع عنها أو تنظيم هجوم بواسطة الأسلحة المنتشرة بين جنوده أو المقاتلين العرب، وذلك لعلمه أنها قليلة وعدم صلاحية عدد كبير منها للحماية أو القتال ولحاجته الى أنواع أخرى من الأسلحة تساعده وحاميته في تأدية المهام الموكلة إليه. لهذا كان قراره بالتوجه الى بيروت ودمشق طلباً للأسلحة، وبالفعل بعد جهود مضنية نجح في تنفيذ عملية شحن لكميات كبيرة من الأسلحة الى فلسطين، ولكن هذه الأسلحة لم تصل إلى حيفا لأن اليهود نجحوا في ترصد حركات الحنيطي، ونصبوا له كميناً عند كريات موتسكين، ووقعت معركة كانت نهايتها انه فجر الشحنة ونفسه فيها. وما أن وصلت أخبار هذه المعركة الى حيفا حتى أصيب الناس بالذعر الشديد والخوف مما سيأتي.

الواضح لنا هنا أن العرب قد وضعوا خطة وشرعوا في بناء قوة عسكرية لهم لتحمي المدينة، ولكن كل هذا جاء بعد فوات الأوان. وان الاختلافات في الرأي بين الفرق المقاتلة وعدم التنسيق بينها وعدم قيامها بالتدريبات اللازمة، وأكثر من ذلك، هناك عدد كبير من المقاتلين لم يكونوا من حيفا ولم يعرفوا أحياء وأقسام المدينة، وكل هذا كان من عوامل الضعف.

ويعترف عارف العارف في كتابه «نكبة فلسطين والفردوس المفقود» ان العرب ما كانوا ليُغلبوا على أمرهم لولا الاختلاف في شؤون القيادة، وعدم وصول الكميات الكافية من الأسلحة الى أيدي المقاتلين العرب والمدافعين عن حيفا[١١].

استنتاجنا هنا أن الخطة العربية التي وُضعت لحماية المدينة لم تكن مدروسة أو كافية لتوفير الحماية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لم توضع خطة للهجوم على الأحياء اليهودية في المدينة بهدف السيطرة على أجزاء المدينة كلّها، كما هو الحال بالنسبة للخطة اليهودية. الواقع أن العرب قد بنوا خطتهم على قاعدة الحماية والدفاع انطلاقاً من واقع المواقع والأحياء السكنية العربية غير المهيأة لحماية نفسها، ولم يكن التخطيط للهجوم على الأحياء اليهودية. ما نفذ من عمليات هجومية وعسكرية ليس ضمن أية خطة عسكرية مرسومة، انما بشكل عشوائي لإثارة القلق والرعب في نفوس اليهود، أو انتقاماً لعمليات اعتدائية قام بتنفيذها يهود من الهاغاناه أو الايتسل.

الخطة اليهودية في الدفاع عن حيفا والهجوم على الأحياء العربية

لقد تولت الهاغاناه مسألة حماية الأحياء اليهودية في المدينة، ومسألة تنظيم خطة الهجوم على الأحياء العربية في المدينة، وكذلك تنفيذ عمليات السيطرة على المواقع التي كانت بحوزة القوات العسكرية والبوليسية الانكليزية المنتشرة في المدينة وفي ضواحيها.

ويشير قائد كتيبة الهاغاناه موشي كرمل الى أن استعدادات الهاغاناه في حيفا بدأت منذ سنوات طويلة للخطر الآتي[١٢]. ويؤكد ان الهاغاناه قامت بدراسة جغرافية المدينة من كافة النواحي وفي مقدمتها انتشار الأحياء العربية واليهودية في المدينة، وكيفية حماية الأحياء اليهودية، وكيفية الهجوم على الأحياء العربية، وكيفية الاستفادة من المواقع التي سكنها اليهود لضرب الأحياء والتجمعات السكنية العربية في حيفا[١٣].

وقبل الدخول بتفاصيل خطة الهجوم اليهودية في حيفا نود الاشارة الى أن رؤية الهاغاناه للعرب في حيفا على انهم مشاغبون يقومون بأعمال شغب في كل أرجاء المدينة. وان اليهود وخاصة الهاغاناه تقوم بتنظيم الأعضاء وتدريبهم ليلاً وبشكل سري في المناطق البعيدة عن الأحياء، أي في أطراف حيفا كي لا يشعر العرب ولا الإنكليز بما يقومون به[١٤].

أما أسلوب الرد اليهودي فكان بواسطة «اضرب واهرب» (الكر والفر)، أي أسلوب عمليات الانتقام ثم السرقة والنهب، حتى لا يشعر العرب أنه يوجد تنظيم عسكري يقوم بالتخطيط للسيطرة على المدينة، من جهة، ومن جهة أخرى اهتمت الهاغاناه بتجميع قطع أسلحة من كل الأنواع سواء بالشراء أو السرقة وتخزينها بعد التدريب عليها استعداداً للمعركة القادمة. ويشير في هذا الخصوص موشي كرمل الى الحزن الشديد الذي كان يصيب القيادة عند سرقة قطعة سلاح من الهاغاناه، بأنه ليس أقل من الحزن على فقدان صديق[١٥].

الأساليب الأخرى التي استعملتها الهاغاناه قبل تنفيذ خطة «المقص» ولكنها تنسجم مع الاستعدادات لها، ان

..رعب النكبة

«تقدمنا، وقصفنا للمدينة العربية سبب فوضى وهرب الكثير من العرب. كثيرون من السكان العرب تركوا بيوتهم الجميلة والمحصنة والمزخرفة والمليئة بكل شيء، البيوت التي استثمروا فيها العمر كلّه، والتي عاشوا فيها عشرات السنين، أحبوا فيها وكرهوا، فرحوا وحزنوا، أملوا ويئسوا، ولدوا وعاشوا وماتوا، غادروا بيوتهم، تاركين خزائنهم، أغطيتهم التي ما زال لحم جسمهم ينفث رائحة فيها، أخذوا ما استطاعت أياديهم وتركوا الباقي».

قواتها كانت تقوم بشكل متواصل بالاعتداء على الأحياء العربية، مثل تفجير بنايات في وادي الصليب وفي الحسبة وشارع يافا والتعرض للباصات واطلاق النيران عليها لشل حركة التنقل في المدينة، ولجوء الهاغاناه الى استخدام أساليب التعرض للمارة بواسطة اهانتهم وتفتيشهم.

أما الخطة التي وضعتها قيادة الهاغاناه فهي منسجمة مع خطة داليت (الخطة د) العامة والتي هدفت الى احكام القبضة اليهودية على المدن المختلطة بواسطة السيطرة على الخدمات الحكومية والأملاك العامة وطرد العرب من المناطق المختلطة وحتى من بعض الأحياء الأخرى التي تشكل خطراً على طرق المواصلات في هذه المدينة، أو تستخدم كقواعد للهجوم على اليهود، وأيضاً الاغلاق على السكان العرب في جزء من المدينة التي تطوق وتحاصر بواسطة القوات اليهودية[١٦].

لهذا انسجمت خطة «بيعور حاميتس» مع الخطة داليت من خلال الخطة العامة للسيطرة على حيفا والتي تعرف بـ «مسبرايم» (المقص).

هذا التوجه من قبل خطة داليت انطبق على حيفا بواسطة تولية المهام لكتيبة كرملي. وجرى تحديد أهداف ومهام الكتيبة على النحو التالي: احتلال وسيطرة على منطقة مغارة الخضر عند المدخل الجنوبي لحيفا، ثم البلدة القديمة، والحي الألماني وشارع يافا والمركز التجاري القديم والمركز الجديد في البلدة التحتا وشارع الناصرة ووادي روشميا وحارة التنك وبلد الشيخ[١٧]. أي السيطرة على الحزام الأسفل من المدينة.

أما الخطة «بيعور حاميتس» فقد وضعت على ما يبدو في نهاية شهر آذار ومن الممكن بعد معركة موتسكين والتي استشهد فيها القائد الحنيطي. ويجب هنا توضيح مسألة مهمة، وهي أن خطة المقص تهدف الى السيطرة على المدينة في هجوم كاسح في عدة مواقع. أما خطة «بيعور حاميتس» فتهدف الى تحطيم العدو العربي بواسطة الهجوم المدمر من كل الاتجاهات بواسطة استخدام كل الأساليب التي تقضي على العدو وتحطم معنوياته وقدراته.

أما الخطة الفعلية للهاغاناة في الهجوم على الأحياء العربية في حيفا فكانت على النحو التالي:

تقسيم المدينة (حيفا) إلى:

ثلاثة أقسام في البلدة التحتا وقائدها هو اريه شمشوني.

ستة أقسام في الهادار الكرمل وقائدها هو يعقوب ليشينسكي.

ثلاثة أقسام على جبل الكرمل وقائدها هو بنيامين بوخمان.

وتم تشكيل قوات احتياط خاصة تلقت تدريبات خاصة أيضاً.

وما يميز خطة «بيعور حاميتس» ضمن الخطة الأكبر «مسبرايم» (المقص) قيام قوات الهاغاناه باقتحام طرق المواصلات في البلدة التحتا والسيطرة على وادي روشميا للحفاظ على الاتصال والمواصلات بين حيفا وشمالي البلاد. والأوامر التنفيذية تقضي بفتح الطريق نحو وادي روشميا شرقاً، وفتح الطريق نحو البلدة التحتا عن طريق شارعي البرج وستانتون.

ويتم تنفيذ ذلك على النحو التالي:

١ ـ فرقتان عسكريتان من الهاغاناه تسيطران بشكل خاطف على بنايتين استراتيجيتين في شارع صلاح الدين في الحليصا ـ روشميا: بيت النجادة (ويُعرف ببيت لجنة الأحياء العربية) وبيت رقم ٤٩ وهو البيت نصف الدائري عند مدخل الحليصا من الجهة الشرقية. وهذه السيطرة تساعد في السيطرة مستقبلاً على وادي روشميا ووادي الصليب.

٢ ـ فرق من الهاغاناه تسيطر على شارع ستانتون بواسطة السيطرة على مواقع بين هادار الكرمل وبين الشارع نفسه حتى بيت الخوري.

٣ ـ فرقة ثالثة تنطلق من المركز التجاري الجديد في البلدة التحتا وتسيطر على شارع اللنبي وبيت سلام في زاوية اللنبي والمؤدي الى ساحة الخمرة (ساحة الحناطير، وتعرف اليوم بساحة باريس).

وكان على قوات الهاغاناه في كل المحاور القيام بشطر المدينة إلى ثلاثة أجزاء، لمنع حصول أي اتصال بين القوات العربية والمقاتلين معها[١٨].

هجوم الهاغاناه في ٢١ / ٤ / ١٩٤٨

كان موعد إعلان الانسحاب البريطاني الذي قدمه ستوكويل للعرب واليهود الساعة الحادية عشرة صباح الأربعاء الموافق ١٩٤٨/٤/٢١، وحالاً قامت الهاغاناه بتنفيذ خطة مسبارايم (المقص).

والغريب في الأمر أن ايشيل مؤلف كتاب «معارك الهاغاناه في حيفا» يذكر ان الهجوم على بيت النجادة قد بدأ الساعة العاشرة والنصف من صبيحة الأربعاء ١٩٤٨/٤/٢١، أي نصف ساعة قبل بيان ستوكويل[١٩]. بينما يذكر بني موريس ان ساعة البدء بالهجوم اليهودي على أحياء المدينة وفقاً لخطة المقص كانت الساعة الواحدة من ظهيرة الأربعاء ٤/٢١[٢٠].

من الواضح ان استعدادات الهاغاناه قد بلغت أوجها وليست بحاجة الى انتظار فحالاً شرعت بتنفيذ الخطة بالهجوم على بيت النجادة في شارع صلاح الدين (أطلق عليه فيما بعد شارع هجيبوريم - أي الأبطال) وبيت رقم ٤٩ وهو البيت نصف الدائري. انطلقت فرقة من الهاغاناه من «بيت الصناعة» الكائن في أعلى وادي روشميا وكانت مكونة من ٣١ مقاتلاً مزودين برشاش من طراز «برن» وخمس عشرة بندقية وجهاز اتصال لاسلكي وقنابل يدوية. وفرقتان أخريان انطلقتا برفقة مدرعة. وفرقة ثالثة انطلقت وبصحبتها مضمد وجهاز لاسلكي في مدرعة ثانية. ولقد واجهت المهاجمين نيران كثيفة من المقاتلين والمقاومين العرب من أعالي الحليصا، حتى ان الفرقة التي وصلت الى بيت النجادة تعرضت بشكل مستمر الى وابل من الرصاص وسقط عدد من القتلى اليهود والجرحى، ولم تستطع القوة المرابطة في بيت الصناعة توفير الدعم الكافي والحماية للمعتدين اليهود الذين وصلوا الى بيت النجادة، حيث دارت معركة من طابق إلى آخر داخل البناية. ولم يُسعف قوات الهاغاناه في بيت النجادة إلا قوة من الهاغاناه انطلقت من حي نافيه شأنان المشرف على حي الحليصا والذي - أي حي نافيه شأنان - امتلك تفوقاً استراتيجياً من حيث موقعه وامكانية السيطرة على حي الحليصا، وبالتالي السيطرة على وادي روشميا وحسم المعركة حول بيت النجادة بشكل نهائي. واستمر القتال حول بيت النجادة وحي الحليصا ووادي روشميا يوماً كاملاً أي حوالي ٢٤ ساعة، إذ إن المعركة انتهت حوالي الساعة الحادية عشرة من يوم الخميس الموافق ١٩٤٨/٤/٢٢.

الأساليب الأخرى التي استعملتها الهاغاناه قبل تنفيذ خطة «المقص» ولكنها تنسجم مع الاستعدادات لها، ان قواتها كانت تقوم بشكل متواصل بالاعتداء على الأحياء العربية، مثل تفجير بنايات في وادي الصليب وفي الحسبة وشارع يافا والتعرض للباصات واطلاق النيران عليها لشل حركة التنقل في المدينة، ولجوء الهاغاناه الى استخدام أساليب التعرض للمارة بواسطة اهانتهم وتفتيشهم.

لقد ساهمت هذه المعركة في تحديد مصير حيفا من جهتها الغربية، إذ أنَّ سكان حي الحليصا العرب، ووادي روشميا، قد هربوا باتجاه أحياء المدينة الغربية، وهروبهم هذا أوقع الرعب أكثر في نفوس العرب داخل المدينة نفسها.

والواقع أن رجال الهاغاناه قد تلقوا أوامر تقضي باستخدام مكبرات الصوت المتجولة في شوارع المدينة أو المحاذية للأحياء العربية، وكذلك استخدام البث الإذاعي من إذاعة الهاغاناه بالعربية. لقد أعلنت مكبرات الصوت ان الهاغاناه قد سيطرت على طرق الوصول والدخول إلى المدينة حتى قبل حسم المعركة نهائياً، ولهذا على العرب ألا يتوقعوا الحصول على أية مساعدة. وأعلنت الاذاعة التابعة للهاغاناة أن القيادة العربية في حيفا قد هربت من المعركة، وإذا أراد العرب في حيفا الاستمرار في القتال فما عليهم إلا اخراج الأطفال والنساء والاستعداد لقتال الرجال..[٢١]، واستعملوا براميل محشوة بمزيج من المتفجرات وزيوت الوقود وجرى دحرجتها من الهادار باتجاه البلدة التحتا وحي وادي النسناس لدب الهلع والرعب، وبالتالي خلق الأجواء المناسبة لترك العرب المدينة ومغادرتها.

أما المعركة الثانية فكانت حول بيت آل الخوري، إذ تقدمت فرقة من الهاغاناه من مقرها في أعالي الهادار الكرمل باتجاه البيت الذي كانت فيه مكاتب ادارة سكة الحديد ويُشرف على الأحياء العربية في البلدة القديمة والتحتا ووادي النسناس. وفي نفس الوقت قامت قوة أخرى من الهاغاناه بالانطلاق من جوار بيت الخوري باتجاه شارع ستانتون - البرج لقطع الطريق على القوات العربية، وقوة ثالثة انطلقت باتجاه شارع صهيون لقطع منطقة وادي النسناس. وحددت ساعة الانطلاق الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ١٩٤٨/٤/٢٢. واستمرت المعارك في هذه المحاور حتى ساعات ما قبل ظهيرة ٤/٢٢ عندما حسمت كلّها.

أما الفرقة الثالثة من الهاغاناه فانطلقت من المركز التجاري الجديد لتلتقي مع القوة الهابطة من محور بيت الخوري - شارع الأنبياء ودرج الأنبياء، حيث كان الالتقاء في الميدان المجاور لبيت سلام ومدرسة الفرير في البلدة التحتا.

ولم تكتف الهاغاناه بتحقيق هذا الانتصار العسكري السريع، فإن قواتها قامت بقصف الحسبة في البلدة القديمة بقذائف الهاون من منطقة مستشفى روتشيلد الواقع في أعالي الهادار الكرمل، وكانت أعداد كبيرة جداً من أهالي حيفا العرب قد تركت بيوتها وتجمعت في الحسبة والهلع والخوف قد دبّ فيها. واستمرت مدافع الهاون تقذف القنابل في كل اتجاه في المدينة محدثة هلعاً شديداً بفعل أصواتها المرعبة أكثر من الدمار والتخريب الذي تلحقه بالأحياء ذاتها.

والأوامر التي أعطيت للهاغاناه هي القيام بقتل كل عربي يلاقونه

وحرق كل جسم مشبوه يصادفونه، وتوزيع مناشير مخيفة في عباراتها باللغة العربية[٢٢].

ويصف موشي كرمل قائد وحدة كرملي المكلفة باحتلال حيفا ما جرى في نفس اليوم ٤/٢٢ على النحو التالي:

«تقدمنا، وقصفنا للمدينة العربية سبب فوضى وهرب الكثير من العرب. كثيرون من السكان العرب تركوا بيوتهم الجميلة والمحصنة والمزخرفة والمليئة بكل شيء، البيوت التي استثمروا فيها العمر كلّه، والتي عاشوا فيها عشرات السنين، أحبوا فيها وكرهوا، فرحوا وحزنوا، أملوا ويئسوا، ولدوا وعاشوا وماتوا، غادروا بيوتهم، تاركين خزائنهم، أغطيتهم التي ما زال لحم جسمهم ينفث رائحة فيها، أخذوا ما استطاعت أياديهم وتركوا الباقي»[٢٣].

أما جون كيمحي وهو مؤرخ صهيوني فقد وصف حالة العرب في حيفا أثناء القتال «تُرك العرب في هلع وذعر شديد، وتمشيت في الأسواق، فرأيت حالة الفوضى التي تركوا فيها بيوتهم، وغالباً مخلفين وراءهم كل ما هو ثمين»[٢٤].

رد الفعل العربي في حيفا

حاول الوفد العربي الذي كان قد التقى بستوكويل صباح ٤/٢١ بعد سماع بيانه، العودة الى لقائه للتباحث معه حول أحوال المدينة اثر قيام الهاغاناه بتنفيذ هجومها مباشرة بعد البيان. ولكن الوفد لم يوفق في الالتقاء بستوكويل رغم الالحاح الشديد المتكرر. ونجحوا في الالتقاء به الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم التالي الموافق ٤/٢٢. وهذا دليل على معرفة الجنرال بالهجوم المخطط مسبقاً من قبل الهاغاناه وموافقته الضمنية والصامتة على الأقل بقيام الهاغاناه بتنفيذ خطة السيطرة على حيفا وبعد يوم من فرض الأمر الواقع من قبل الهاغاناه يُبدي استعداده لمقابلة الوفد العربي من أهل المدينة.

واثر اشتداد الهجوم اليهودي على أحياء المدينة مساء ٤/٢١ وحتى صباح ٤/٢٢ بادر بعض أعضاء الوفد مثل المحامي جورج معمر وفريد السعد بالاتصال مع ضباط في الجيش البريطاني ومع مسؤولين مدنيين في مكتب حاكم اللواء بحيفا للتدخل السريع لمنع وقوع مذابح ودمار أكثر مما لحق بالأحياء العربية. واتصل فريد السعد بالقنصل السوري في حيفا طالباً إليه ابلاغ حكومات سورية ولبنان والأردن بما يجري من

مشهد للهدم والدمار في الحسبة القديمة قرب جامع الجرينة

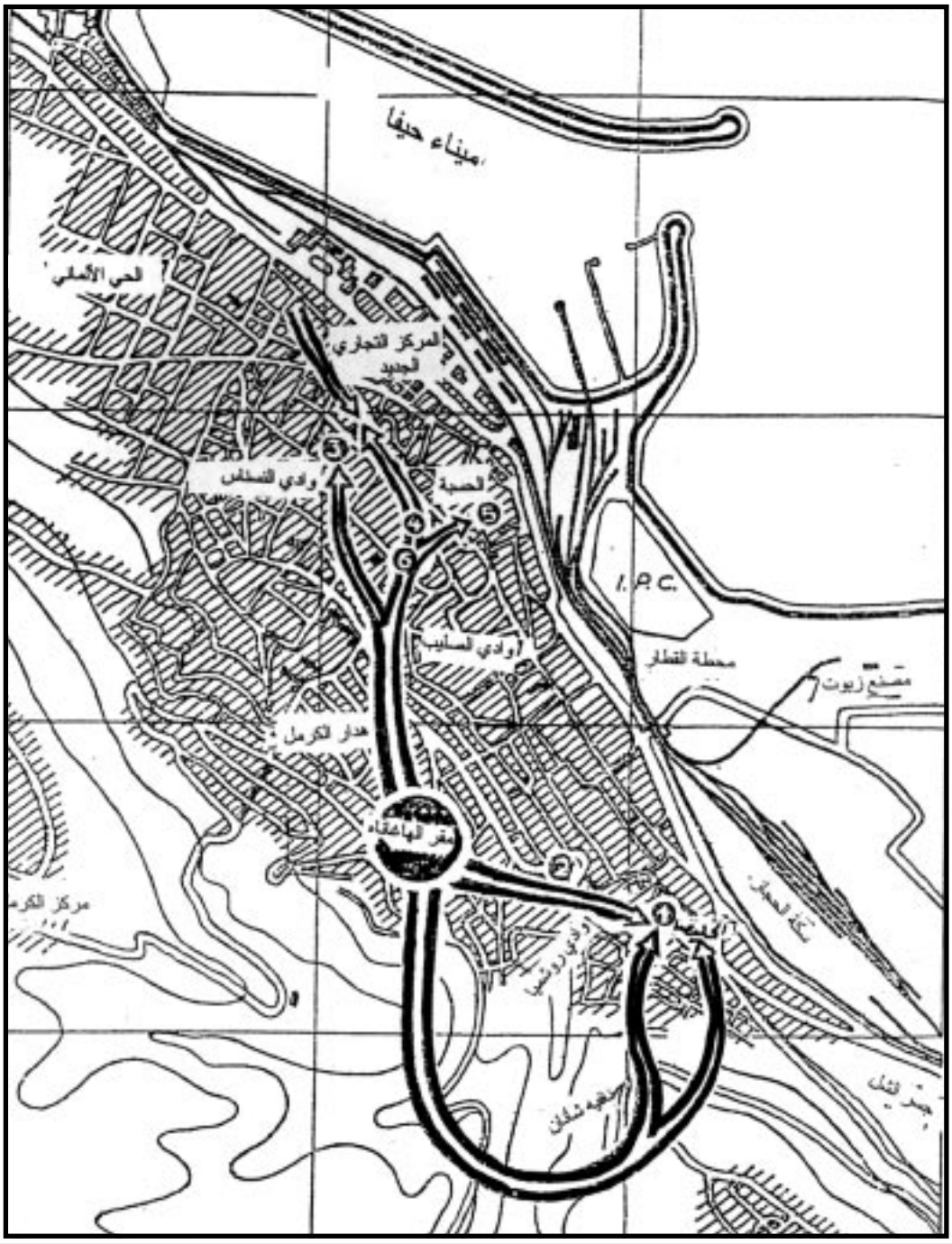

خطة «مسباريم» (المقص) التي نفذتها الهاغاناه في حيفا.

١- بيت النجادة.
٢- بيت الصناعة.
٣- بيت الخوري (مكاتب إدارة القطارات).
٤- شركة التليفونات.
٥- مقر القيادة العربية.
٦- مقر حاكم حيفا.

مذابح وجرائم في حيفا. واجتمع أعضاء اللجنة القومية العربية بحيفا في بيت عضوها فريد السعد (وهذا هو الاجتماع الأول للجنة) الساعة السادسة من صباح ١٩٤٨/٤/٢٢، بهدف وضع احتجاج شديد لتقديمه الى ستوكويل في لقائهم اياه الساعة التاسعة والنصف صباحاً. وهذه مقتطفات منه كما جاء في أوراق عضو اللجنة المحامي الياس كوسا:

«إن اللجنة لتلاحظ باهتمام عميق أن رغبتكم هي تأمين الهدوء في أنحاء المدينة المبينة في البلاغ المذكور أعلاه تاركين الأقسام الأخرى عرضة للاضطراب والفوضى، ولهذا فهم مضطرون حيال هذه الظروف أن يسجلوا احتجاجهم الشديد على هذا العمل الذي هو خرق ساطع لسياسة حكومة جلالته المعلنة من أنها هي وحدها المسؤولة عن حفظ النظام حتى الخامس عشر من شهر ايار ١٩٤٨، كما وانهم مقتنعون ان موقفكم هذا مضرّ في مصالح العرب لأنه يضع مواطنيهم في مواقف حرجة ويعرضهم لأضرار

خطيرة بسبب استمرار القناصة اليهود في اطلاق النار من أوكارهم المشرفة على المناطق العربية. وان الحوادث الأليمة التي وقعت في الليلة السابقة عندما أطلق اليهود النار والقنابل دون تمييز على المستشفى العربي وعلى الأحياء الآهلة بالسكان في البلدة القديمة وفي وادي النسناس والقسم الشرقي من المدينة، والتي نتج عنها اصابات كبيرة من قتلى وجرحى لهي دليل ساطع على خطأ التدبير الذي قررتموه مما يشكل خرقاً للواجبات القانونية والأدبية الملقاة على عاتق الحكومة بالمحافظة على الأمن والنظام وحماية أرواح السكان وأموالهم. وإنا نقول دون تردد: ان المسؤولية عن قتل الأبرياء بقنابل اليهود ونارهم قتلاً وحشياً وبتشجيع، لا بل بتحريض ناشئ عن هذا التدبير، إنما يقع على عاتقكم وحدكم».

ويوجه أعضاء اللجنة القومية نداءً أخيراً الى الجنرال ستوكويل «ونحن نؤمل بأن تُعيدوا النظر في هذه المسألة على ضوء المطالب المدونة أعلاه، وأن تتخذوا الإجراء السريع الضروري لتأمين الأمن والنظام في جميع أنحاء المدينة، وأن تمنعوا أي اعتداء آخر من قبل اليهود على العرب. لقد بلغنا الحوادث التي تجري الآن في المدينة الى الدول العربية وأكدنا لها سوء نية السلطات البريطانية، خصوصاً ان هذه السلطات قد رفضت تقديم أية مساعدة لانقاذ النساء والأطفال من هجوم اليهود، رغم الالتماسات العديدة المتكررة التي وجهها للسلطات العسكرية والمدنية في هذه المدينة السيد جورج معمر، المسؤول عن مكتب الارتباط بين العرب والانكليز في المدينة، والسيد فريد السعد أحد أعضاء هذه اللجنة».

المخلصون

فيكتور خياط، جورج معمر، فريد السعد

أنيس نصر، الياس كوسا

والتقى الوفد مع ستوكويل حوالي الساعة التاسعة والنصف من صبيحة ٤/٢٢ حيث طالب أعضاء الوفد منه التدخل لمنع الهاغاناه من مواصلة أعمال القتل والتخريب والتدمير، وان يسمح بوصول دعم عربي للعرب في حيفا، إلا أن ستوكويل رفض قائلاً: إن على العرب قبول شروط الهدنة المفروضة من الهاغاناه قبل أن يوافق العرب على رؤية هذه الشروط، وهذا دليل على أنه كان على اطلاع مسبق بالشروط. ثم تم الاتفاق أن يصدر ستوكويل بياناً مشتركاً مع اللجنة القومية العربية في حيفا، مع العلم ان ستوكويل والقنصل البريطاني في حيفا ينكران أن يكونا قد توصلا الى اتفاق أو تفاهم مع الوفد المذكور. وأوراق المحامي الياس كوسا عضو اللجنة القومية العربية بحيفا تشير الى توقيع ستوكويل على بيان اللجنة مؤكداً انه اطلع عليه.

ويضيف الياس كوسا في أوراقه: «حيال هذا الموقف المتحيز الذي وقفه الجنرال ورفقاؤه ورغبة في وضع حد لتقتيل العرب الأبرياء، قال الوفد مرغماً للجنرال: انه مستعد لعقد هدنة وطلب إليه ان يخبره عن شروطها.

فانسحب الجنرال ورفقاؤه من غرفة الاجتماع مدعياً انه سوف يتصل باليهود للحصول عليها وبعد مدة وجيزة من الزمن لم تتجاوز الخمس عشرة دقيقة رجع إلى الغرفة مع رفقائه وتلا على الوفد مسودة شروط مطبوعة، فاعترض الوفد على كثير منها وطلب زيادة شرط ينص على أن التوقيع على الهدنة لا يتضمن أي اعتراف منه بقيادة الهاغاناه أو بأي تغيير أو تبديل في وضع البلاد السياسي، فدوّن الجنرال الملاحظة التي أبداها الوفد ووعد بمقابلة اليهود. وتم الاتفاق على عقد اجتماع بين الوفد وبين ممثلي اليهود بحضوره وحضور حاكم اللواء، ورئيس بلدية حيفا، للنظر والبحث في شروط الهدنة في الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم، ووعد أن يُصدر أوامره حالاً بوقف النار من قبل اليهود وارسال سيارات الاسعاف التابعة للجيش البريطاني لجمع ونقل الجرحى للمستشفيات».

شروط قيادة الهاغاناه لعقد هدنة في حيفا

عقد الاجتماع الثاني في الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم الخميس ٤٨/٤/٢٢، في قاعة الاجتماعات في بلدية حيفا بحضور الوفد، وكل من الجنرال ستوكويل والبريجادير جونسون والقنصل البريطاني وحاكم اللواء ورئيس البلدية وعدد من ممثلي قيادة الهاغاناه والوكالة اليهودية، وتلا الجنرال شروط الهدنة، وهذه بعض منها:

*) تجريد العرب تجريداً كاملاً من الأسلحة على اختلاف أنواعها ومن جميع المتفجرات والعتاد والسيارات العسكرية دون استثناء.

*) تسليم جميع الأسلحة الموصوفة خلال ثلاث ساعات.

*) إعلان منع التجول مدة ٢٤ ساعة على جميع الأحياء والمنازل العربية لتأمين تجريد الأهالي العرب من السلاح.

*) عدم تسليم الأسلحة ضمن المدة المعينة يعتبر جرماً يعاقب عليه.

وجرت مناقشة شديدة بين العرب واليهود، فالعرب أرادوا ادخال بعض التعديلات مثل عدم الاعتراف بالهاغاناه أو بأي تغيير سياسي في وضع البلاد وحقوق العرب فيها، وأدخل اليهود تغييرات طفيفة للغاية.

وازاء هذا الوضع طلب الوفد العربي مدة ٢٤ ساعة لدراسة الشروط مع أشخاص آخرين إلا أن الهاغاناه وستوكويل رفضا ذلك ومنحا الوفد

مدة ثلاث ساعات فقط.

ورفض الوفد بعد عودته الى دار البلدية التوقيع على الهدنة كما هي، موجهاً التهم الشديدة الى الجنرال ستوكويل والحكومة البريطانية التي تؤازر الهاغاناه بكل الطرق والأشكال.

وأعلن أعضاء الوفد أنهم يطلبون من الهيئات تسهيل ترحيل العرب من سكان المدينة العرب الى البلاد العربية المجاورة.

هل ترك العرب حيفا بإرادتهم؟

رغم أن وفد اللجنة العربية القومية قد رفض شروط الهدنة والتي تجعل العرب أهالي حيفا تحت حكم الهاغاناه، بل وتعترف بحكم اليهود، ورغم أن هذا الوفد قد طلب ترحيل العرب من حيفا، إلا أن هناك بعض الحقائق التي يجدر ذكرها في هذا السياق ومن أهمها:

١ ـ حتى اندلاع الهجوم اليهودي على الأحياء العربية في ٤/٢١ ترك حيفا ما يقارب نصف سكانها العرب، أي حوالي ٣٥ ألف نسمة، خوفاً على أرواحهم وأولادهم ومن شدة الخوف والهلع الذي أصابهم من جراء اعتداءات الهاغاناه المتواصلة على الأحياء العربية ومصالح العرب في مختلف أنحاء المدينة، بمعنى ان ما قامت به الهاغاناه منذ اعلان قرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩ كان التركيز على الحرب النفسية والتضييق على العرب في حيفا.

٢ ـ أخبار انسحاب القوات البريطانية من طبريا في التاسع عشر من (نيسان) ابريل ١٩٤٨ ـ أي قبل الانسحاب الرسمي بـ ٥٧ يوماً ـ وما قامت به الهاغاناه من ترحيل عرب طبريا وتدمير بيوتهم واحتلال محلاتهم التجارية ومصالحهم قد أثرت كثيراً على عرب حيفا، وتأكدوا من الوضع عندما حلت عليهم المصيبة بعد يومين.

٣ ـ وما قامت به الهاغاناه خلال يومي القتال ٢١ و ٤/٢٢ وقصف المدينة العربية بالهاون والقنابل بشكل متواصل قد دبّ الهلع والخوف في نفوس السكان، ممّا دفعهم الى الهرب باتجاه الميناء.

٤ ـ ولعب الإنكليز دوراً بارزاً في توجيه العرب واستقبالهم في الميناء وتوفير السفن والقوارب اللازمة لترحيلهم إلى لبنان ومصر.

٥ ـ تحاول الرواية الاسرائيلية أن تؤكد أن العرب في حيفا هم الذين كانوا السبب في تدمير حياتهم ومستقبلهم عندما اتخذ زعماؤهم قراراً بالترحيل، وهذا غير صحيح على وجه الدقة، إذ إن الاذاعات الفلسطينية والعربية قد حثت الفلسطينيين على عدم ترك بيوتهم على الاطلاق، وحتى أن فوزي القاوقجي قائد جيش الانقاذ قد أعلن: «ان الجبناء الذين يهجرون بيوتهم يجب ايقافهم لأنهم يسهمون في نشر الذعر والهلع والفوضى»[٢٥].

ويحاول بني موريس جاهداً أن يطرح توجهاً يدعي من خلاله أن توافقاً في السياسة كان قائماً بين اللجنة العربية القومية بحيفا وبين الانكليز. فاللجنة على حدّ ادعائه لم تكن راغبة في الظهور بمظهر الخيانة والخنوع أمام الجماهير العربية في حيفا، لذلك لم تقبل اللجنة شروط الهدنة التي نقلتها الهاغاناه، بل ان اللجنة ألقت المهمة في التفاوض عنها بشكل فعلي على الجنرال ستوكويل، عارفة ـ أي اللجنة ـ أن ستوكويل سيرفض التدخل أو السماح لقوات عربية بدخول المدينة بحجة أن ذلك سيسبب مشاكل كثيرة وخسائر في الأرواح. ويضيف موريس ان الانكليز والعرب فهموا ان الكفة تميل لصالح الهاغاناه، لأنه إذا دخلت قوات عربية سيؤدي إلى سفك دماء وتبقى الكفة لصالح الهاغاناه. لذلك كان ستوكويل مستعداً أن يلعب اللعبة لصالح العرب[٢٦].

ولكن يبدو لنا أن قواعد هذا الادعاء الذي طرحه موريس ما هي إلا نظرة توفيقية ليلقي من خلالها المسؤولية على الانكليز والعرب، بمعنى أن مسألة ترحيل العرب هي أمر تم التفاهم عليه بين العرب والإنكليز في حيفا. ولكن هذا التوجه ضعيف في الاقناع لعدم استناده إلى مقاييس منطقية على الاطلاق، فالعرب في حيفا قد فقدوا السيطرة العسكرية، وعلى الأقل لحماية بيوتهم ومصالحهم، لصالح الهاغاناه، فكيف سيقتنع العرب أن الهاغاناه ستوفر الأمن والنظام والطمأنينة وهم ـ أي الهاغاناه ـ قد حاربوا بالأمس القريب جداً سكان المدينة العرب، وساهموا في ترحيلهم المتواصل على مدار أكثر من ستة شهور؟.

رجال الهاغاناه ومنهم قياديون مثل يعقوب ليشينسكي الذي قاد احدى معارك حيفا يصف «هرب العرب من حيفا» على النحو التالي: «حضرت جلسة اللجنة والتي قدّمت خلالها تقارير حول مدى ترك العرب لحيفا. سادت مشاعر غير مريحة. عبّر أعضاء اللجنة عن غضبهم. قال

يوسف فايتس عضو الكيرن كييمت وأحد المفكرين الصهيونيين العنصريين سجل في يومياته عندما كان في حيفا يوم سقوطها: «يبدو لي أنه يجب علينا استغلال مسألة الهرب والهزيمة السائدة بين العرب، وملاحقة البقية حتى لا يستسلموا بل يهربوا. علينا اقامة دولتنا».

واحد من اللجنة: فقط احتللنا مدينة والعرب فيها يتركون. ماذا سيقول العالم الواسع؟ بالطبع سيدعون انه هكذا اليهود وان العرب لا يستطيعون العيش تحت حكمهم. واتخذ قرار بأن نجرب منع العرب من ترك المدينة، ويجب القيام بعمليات اقناع، فمن كان يتكلم العربية بيننا نزل الى البلدة التحتا وإلى وادي النسناس حيث التقيت كثيرين ممن كنت أعرفهم طالباً اليهم عدم ترك المدينة، وتوجهت بعد ذلك مع أعضاء من الهاغاناه الى المساجد والكنائس حيث تجمع عرب وطلبنا إليهم البقاء في حيفا»[٢٧].

والحقيقة أن مثل هذه الرواية لا تمت الى الواقع بصلة، بل هي من أكاذيب واضعي هذه الرواية ومزيفي الحقائق. الواقع ان الهاغاناه قد عرفت أن اعداد المتبقين من العرب لم تكن كبيرة فبالكاد وصل عدد العرب في ٤/٢٤ حوالي ٢٠ الف نسمة على وجه التقريب، بينما غادر المدينة[٢٨] منذ الاعلان عن قرار التقسيم ثلاثة أرباع السكان العرب. وأكثر من ذلك فإن الخوف اليهودي متمحور حول انتقادات العالم، وليس رغبة اليهود في بقاء العرب في حيفا.

والسؤال المطروح هنا: لماذا أبقت الهاغاناه على بعض العرب في حيفا؟

١ ـ للظهور أمام الرأي العام العالمي بمظهر المعاملة الإنسانية والديمقراطية، ها اننا نحن اليهود الذين تحاربنا مع العرب نعرف كيف نطوي صفحة ونفتح أخرى، ولكنهم العرب لا يستطيعون فعل ما نقوم به، وان العرب ليس بإستطاعتهم العيش معنا.

٢ ـ سوف تحتاج مصالح مدينة حيفا تحت حكم اليهود الى أيد عاملة لها خبرة سابقة في الأعمال والاشغال التي تدير الحياة الاقتصادية في حيفا، مثل الحاجة الى تشغيل مصافي البترول والميناء.

٣ ـ كي لا يظهر اليهود بأنهم يتصرفون مثل عدوهم النازي خلال الحرب العالمية الثانية والتي ليست ببعيدة عنهم زمنياً. (لقد أبدت غولدا مئير أسفها وتعاطفها مع عرب حيفا، وشبهتهم بيهود أوروبا الشرقية خلال الحرب العالمية الثانية، وسمحت لهم بالبقاء في المدينة لأسباب أغلبها اقتصادية)[٢٩].

وما يؤكد وجود مخطط يهودي لترحيل العرب أو للتحضير لترحيلهم بواسطة خلق الأجواء لتحقيق ذلك التفوهات الصادرة عن دافيد بن غوريون، الذي قال عندما بلغه سقوط حيفا: «ما أجمل هذا المنظر، وذلك عند رؤية الفلسطينيين ينزحون عن المدينة» ولما سأل بن غوريون عن أبا حوشي الزعيم العمالي في حيفا، قيل له إنه مشغول في اقناع البقية الباقية من العرب في حيفا بالبقاء في المدينة، فتساءل بن غوريون: «أفلا يوجد عنده شيء أفضل مما يقوم به؟!»[٣٠].

محاولات المؤرخين الصهيونيين الادعاء بأنه كانت لدى العرب خطة جاهزة ومدروسة لاخلاء فلسطين مقابل الجهود اليهودية لمنع النزوح، هذا الادعاء غير صحيح على الاطلاق، فإن ما هو صحيح أن اليهود هم الذين كانوا يمتلكون خطة عامة لكل فلسطين من حيث احتلالها وتنظيم عمليات ترانسفير للفلسطينيين. وأكثر من ذلك فإن الخطة اليهودية هي في كيفية الحفاظ على عدد محدود من العرب في حيفا وبقية أجزاء فلسطين لتحويلهم الى أيدٍ عاملة على قاعدة العبودية. والواقع يبين عكس التوجه اليهودي ـ الصهيوني، فما قامت به السلطات المحلية في حيفا من حصر العرب المتبقين في المدينة في حيين وهما وادي النسناس ووادي الصليب، ما هو إلا تأكيد على أن السياسة هي احتلال الأحياء العربية وتكوين غيتو عربي في حيفا يخدم اليهود فيها.

أضف إلى ذلك ان السلطة الحاكمة ـ الدولة ـ عملت على منع اللاجئين من الرجوع الى حيفا، فإذا كان أصحاب الضمائر من اليهود ومن رجال الهاغاناه حاولوا ويحاولون الظهور بمظهر انساني رافض لكل أشكال الترحيل، كان بالإمكان التصدي لقوانين الحكومة الاسرائيلية التي منعت وتمنع عودة اللاجئين إلى ديارهم.

ولم تأسف الهاغاناه لنزوح العرب في واقع الأمر، فأحد قياديها موردوخاي مكليف، الذي كان حاضراً الجلسات في البلدية بين الوفد العربي والهاغاناه وستوكويل، اجاب عندما سئل عن رأيه بالنزوح العربي: «لا رد فعل لي».

والواقع الآخر وهو عسكري، إذ انه بتفريغ حيفا من العرب سيسهل الأمر على الهاغاناه في التصدي لإمكانية وقوع هجوم عربي على حيفا، فعندها تقوم الهاغاناه بالتصدي للهجوم ولا تنشغل بالعرب في المدينة، فالأفضل تحضير الأجواء لترحيلهم عن المدينة(٣١).

ويحاول بني موريس أن يقسم موقف اليهود من تهجير/ نزوح العرب عن حيفا الى مستويين، وهما:

أ ـ المستوى القيادي السياسي الذي لعب دوراً حتى ١٩٤٨/٤/٢١، وهذا المستوى لم يكن راغباً بالتهجير. وتمت تنحية المستوى السياسي عندما بدأت العمليات العسكرية وأصبح القرار بيد المستوى العسكري.

ب ـ المستوى العسكري الذي أيد التهجير لأنه أسهل عليه التعامل مع حيفا بدون عرب لمواجهة هجوم عربي محتمل.

ولقد استيقظ المستوى السياسي، أو بالأحرى عاد/ أو أعيد الى النشاط بعد أن رأى النزوح بعينه فوجد أنه من المفيد عدم تفويت الفرصة التاريخية والظهور بمظهر المتأسف على حصول النزوح، حتى شبتاي ليفي الذي يُصور بأنه صديق العرب وأنه قد أسف للقرار الذي اتخذته اللجنة العربية القومية، هو نفسه قد تفوه في أحد خطاباته المتعلقة بدعوة العرب الى البقاء بعبارة ختم فيها: «وغداً سنلتقي في القدس»[٣٢].

ويخلص بني موريس الى أن المستوى السياسي أراد بقاء مجموعة من العرب كعامل اقتصادي. أما المستوى العسكري فلم يرغب في وجود عرب. وأن المستوى السياسي أصبح راضياً بدون عرب في حيفا.

خلاصة هذا الموقف أن المستويين: السياسي والعسكري كانا راغبين في ترحيل العرب أو في تحضير الأجواء ليقول العرب إننا لا نستطيع البقاء في هذه المدينة التي يسيطر عليها اليهود؛ واننا نحن العرب لا نستطيع العيش فيها بعد اليوم. ولا يُخفى ما قامت به الهاغاناه والأرغون والعصابات اليهودية الأخرى من ارهاب وحرب نفسية في سبيل تمهيد الطريق لتحقيق هذا المخطط.

يوسف فايتس عضو الكيرن كييمت وأحد المفكرين الصهيونيين العنصريين سجل في يومياته عندما كان في حيفا يوم سقوطها: «يبدو لي أنه يجب علينا استغلال مسألة الهرب والهزيمة السائدة بين العرب، وملاحقة البقية حتى لا يستسلموا بل يهربوا. علينا اقامة دولتنا»[٣٣].

استنتاجات اللجنة العربية القومية حول سقوط حيفا

كتب أعضاء اللجنة المذكورة الاستنتاجات والوقائع التالية:

١ ـ ان الهجوم الذي وقع في ليلة ٢١ نيسان كان مدبراً وبموافقة السلطات العسكرية البريطانية.

٢ ـ ان السلطات البريطانية امتنعت قصداً عن التدخل لوقف الهجوم وتقديم أية مساعدة لإسعاف الجرحى وجمع جثث الموتى حتى ترغم العرب على قبول عقد هدنة.

٣ ـ ان شروط الهدنة وضعت من قبل قيادة الهاغاناه والسلطات المذكورة، وانها كانت بحيازة الجنرال ستوكويل قبل ان يقابله الوفد في الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس في ١٩٤٨/٤/٢٢.

٤ ـ ان القائد العسكري البريطاني كان في جميع أعماله متحيزاً لليهود ولم يقبل أي طلب قدمه الوفد العربي إلا إذا وافق اليهود عليه.

٥ ـ ان الادارة المدنية الفلسطينية (المقصود ادارة الانتداب) اتخذت موقفاً سلبياً كأنها لم تكن، وكأن القائد البريطاني يستشير القنصل البريطاني الجديد لا حاكم لواء حيفا.

٦ ـ منع الأهلون من دخول منازلهم وشردوا فالتجأوا الى الكنائس والأديرة والجوامع والمناطق المحمية وقد فتشت منازلهم ومخازنهم وهم بعيدون عنها من قبل أفراد الهاغاناه ونهبت ممتلكاتهم وأموالهم بأكملها.

٧ ـ لقد كانت اصابات العرب نحو مائة من القتلى ومائتين وأربعين من الجرحى.

أما أهم الأسباب الرئيسية التي أدّت الى انهيار المقاومة العربية حسبما رآها أعضاء اللجنة المذكورة فهي:

١ ـ ضعف القيادة العربية وعدم كفاءتها، فقد كانت هذه القيادة منوطة في بادئ الأمر بضابط واحد فقط له خبرة عسكرية أولية، يساعده عدة أفراد لا يتمتعون بخبرة عسكرية مطلقاً.

٢ ـ قلة عدد الحامية وعدم استعدادها استعداداً فنياً كافياً للدفاع عن مدينة كبيرة مثل حيفا تضم نحواً من ٨٦ الفاً من العرب، إذ لم يتجاوز عدد هذه الحامية في أي وقت من الأوقات ٦٥٠ شخصاً، وأكثر هؤلاء لم يتدرب تدريباً عسكرياً، وكانوا مرتزقة أكثر منهم جنداً منظماً.

٣ ـ عدم توفر الأسلحة والذخيرة، فقد كان القسم الأعظم من الأسلحة قديماً جداً لا يصلح للاستعمال حيال الأسلحة الحديثة الاوتوماتيكية الفتاكة المتسلح بها العدو. وكانت الذخيرة عطبة ضررها أكثر من نفعها، ولم يكن لدى الحامية الكمية الكافية من الذخيرة الجيدة ولا مدافع تقاوم المدافع اليهودية الثقيلة.

٤ ـ فقدان التنظيم المدني وانتشار الفوضى بين صفوف العرب.

وقع على هذه الاستنتاجات والأسباب أعضاء اللجنة العربية: فكتور خياط وفريد السعد والياس كوسا وجورج معمر وأنيس نصر بتاريخ ١٩٤٨/٤/٢٧ وأرسلوها ضمن مذكرتهم الى الدول العربية[٣٤].

ملاحظات ومراجع

١. بالمبو، ميخائيل. نكبة فلسطين، كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم العام ١٩٤٨. دار الحمراء، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠، ص٦٩.

٢. بني موريس. ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ٤٧ – ١٩٤٨، عام عوفيد، تل أبيب، ط٤، ٢٠٠٠،ص ١٠٩.(بالعبرية). توجد ترجمة للكتاب صادرة عن دار الجليل في عمان.

٣. بالمبو، م. س. ص٦٩.

٤. م. س. ن. ص.

٥. الخالدي، وليد. خمسون عاماً على تقسيم فلسطين ٤٧. ١٩٩٧. دار النهار، بيروت. لبنان، ١٩٩٨، ص ١٢٩.

٦. ايشيل، تصادوق. معراخوت هماغاناة بحينا (معارك الهاغاناه في حيفا). اصدار منظمة أعضاء الهاغاناه في حيفا، ١٩٧٨، ص ٣٤٩.

٧. المصدر السابق، ص ٣٦٠.

8 - Khalidi, Walid. “Selected Documents on The 1948 Palestine War, The Fall of Haifa” in Journal of Palestine Studies, Vol. 27, No. 3, spring 1998, Issue 107, p. 86.

٩. مذكرة حول هجوم اليهود على العرب في حيفا مساء الأربعاء الواقع في ١٩٤٨/٤/٢١، في أوراق المحامي الياس كوسا عضو اللجنة القومية العربية.

١٠. بيان رقم «٥» صادر عن اللجنة القومية بحيفا بتاريخ ١٩٤٧/١٢/١٦، في محمد نمر الخطيب. أحداث النكبة أو نكبة فلسطين. دار الحياة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٧، ص ٢٦٩.

١١. عارف العارف. نكبة فلسطين والفردوس المفقود. الجزء الأول، ص ٢١٧.

١٢. كرمل، موشي، معراخوت هتسافون (معارك الشمال). ١٩٤٩. ص ٢٥

١٣. م. س. ص ٢٦.

١٤. م. س. ص١٦.

١٥. م. س. ١٧.

١٦. موريس. م. س. ص ١٠٨.

١٧. م. س. ص ١٠٨، وص ١٠٩.

١٨. كرمل، م. س. ص ٨١، ايشيل، م. س. ص ٣٥٦.

١٩. ايشيل، م. س. ص٣٥٦.

٢٠. موريس، م. س. ص١١٠.

٢١. موريس، م. س. ص١١١، بالمبو. م. س.، ص٦٩.

٢٢. كرمل. م. س.، ص ٩٨، موريس، م. س. ص١١١.

٢٣. كرمل. م. س. ص١٠٣.

٢٤. بالمبو، م. س. ص ٧١.

٢٥. م. س. ص ٧٢.

٢٦. موريس، م. س.، ص١١٥، ومن المعروف ان بني موريس قد تراجع نوعاً ما عما كشف عن حقائق تدين الهاغاناه والمستوى السياسي الصهيوني من خلال كتاب جديد بعنوان «تصحيح خطأ»، ولكن الحقيقة التي كشفها هي الأهم والأقوى بالنسبة لنا وللتاريخ، وان تراجعه ما هو إلا جبن وخوف من الحقيقة ذاتها.

٢٧. ايشيل، م. س. ص٣٧٦.

٢٨. موريس، م. س. ١٢٦.

٢٩. بالمبو، م. س. ٧٨.

٣٠. م. س. ص٧٩.

٣١. موريس، م. س.، ص١٢٩.

٣٢. بالمبو، م. س.، ص ٧٣.

٣٣. موريس، م. س. ص ١٣٢.

٣٤. وردت هذه الأسباب والاستنتاجات في أوراق المحامي الياس كوسا الخاصة.

صدر حديثاً

عن مدار MADAR

المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية

«المتدينون الجدد»

تأليف: يائير شيلغ

ترجمة: سعيد عياش